التحليل الأسلوبي في ظل نظرية السياق

د. الطيـب جبايلـي

أستاذ محاضر " أ " – تخصص بلاغة وأسلوبية

رئيس لجنة بحث بمخبر القانون المقارن والدراسات الاجتماعية والاستشرافية

تحت رعاية المديرية العامة للبحث العلمي والتطويرالتكنولوجي

جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر

البريد الإلكتروني: tdjebaili60@gmail.com

الهاتف: ٠٦٧١٩٩١٩٧٧

الاستلام	٢٠٢٠/١/٢٥	المراجعة	٢٠٢٠/٣/١٢	النشر	٢٠٢٠/٤/٣٠

الملخص:

تمحور المقال حول الدراسات اللغوية في ضوء نظرية السياق والمنهج الأسلوبي، والكشف عن الأدوات والآليات المستخدمة في بناء النصوص وقراءتها ومعرفة اتجاهات المؤلف والقارئ ومدى بروزها في تشكيل وتركيب النصوص وفهمها بطريقة علمية وموضوعية. تم – ذلك – باعتماد المنهج الأسلوبي كمنهج جديد يهدف إلى موضوعية تحليل النصوص وطريقة تركيبها تركيبا لغويا يضمن عملية التقاء المؤلف بالقارئ عن طريق النص آليات تشكيله اللغوي.

ومدى ارتباطه بجميع الدراسات اللغوية، لأن الكشف عن الدلالة لا يقتصر على وضوح مفرداتها اللغوية ووظائفها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية على مستوى التركيب، باعتبار أن هذه الوظائف لا تسفر عن دلالتها كاملة، لأنها تفتقد عنصرا مهما من عناصر الدلالة ذلك هو السياق بنوعيه اللغوي الذي يعتمد على النص، وغير اللغوي الذي يعتمد على ما حول النص من ظروف خارجة تفرض نفسها عليه.

كما أن السياق وثيق بالأسلوبية كونها حقلا لسانيا يهتم بالبعد الاستعمالي أو الانجازي للكلام، آخذا بعين الاعتبار المتكلم والسياق نفسه.

الكلمات المفاتيح:

السياق الصوتي، السياق النحوي، الدلالة، الاستعمال اللغوي.

Stylistic analysis under context theory

Dr. Al-Tayeb Jebaili

Lecturer, A. - Rhetoric and stylistic specialty

Head of a committee at the Laboratory of

Comparative Law and Social and Prospective Studies

Al-Araby Al-Tebsy University

Tebessa, Algeria

Email: tdjebaili60@gmail.com

Phone: 0671991977

Received	25/1/2020	Revised	12/3/2020	Published	30/4/2020

Abstract

This paper studies the context of the stylistic and its association with all the linguistic studies. Revealing the significance is not limited to the clarity of its linguistic vocabulary and its phonetic ; morphological, grammitical and lexical function at the syntax level, since these functions do not show its full significance, because it needs an important element of the significance which is the context in both types: linguistic one that depends on the text ; and non linguistic one that depends on the paratext.

It is also closely related to stylistic as it is a linguistic field that attends to the performative use of speech taking into account the speaker and the context itself.

Key words:

phonetic, context, grammatical context, singificance, language use.

توطئة:

يرتكز هذه الموضوع على مفهومين أساسيين هما: السياق والتحليل الأسلوبي، إذ تترابط عناصرها الجزئية فيما بينها لتخلص إلى توظيف جميع المجالات اللغوية الأخرى في إعطاء الدلالة اللازمة، والربط بين المتكلم والسامع وكيف أن السياق الأسلوبي يعمل بالاستعانة بعلوم اللغة المختلفة كالنحو مثلا على ترجمة حركات البناء والإعراب ومواضع الألفاظ وتحويلها إلى معان.

لا يتم تفعيل السياق ما لم تتضافر وشائج الحقول الدلالية الأخرى في رصد معاني الجمل والعبارات، فالإعراب مثلا لا يكون إذا لم تسفر اللفظة عن معانيها التركيبية، كما أن توالي الألفاظ بالطريقة المنطقية تعكس المعاني المقصودة بالكلام، دون ربط الألفاظ بمنطقية المعاني تبقى الجملة غامضة لا تؤدي مرادها، ولا يتم التواصل الذي أساسه اللغة التي هي الوسيلة المثلى والأبلغ تأثيرا وأكثر إفصاحا عن المراد.

إن البحث في المعنى لا يقف عند حدود المنطق، لا سيما في اللغة الأدبية المتميزة التي هي ضرب من اللغة السامية المتجاوزة للمستوى الأدنى أو النفعي الذاتي وتظل حبلى بالمفاهيم باختلاف المتلقين ومواقفهم وقدراتهم الذهنية، إذ يتعدى المعنى الظاهر أو منطوق العبارة بل يلج إلى المعاني الثواني التي يكون التخييل سبيلا لها وهو الذي يهدم العلاقات المنطقية للعبارة ويبني علاقات مخصوصة جديدة.

مفهوم السياق لغة:

يقول ابن منظور في مادة "سوق"[1] ساق النعم فانساقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا، ومن المجاز ساق الله إليك خيرا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، وتساوقت الإبل تتابعت.

إن مجموع المعاني اللغوية للفظة السياق تعني التتابع والسير والانتظام في قطيع واحد وهو المعنى الحسي لهذه المادة وهو ما يشير إلى العلاقة الوطيدة بمعنى السياق، "فسياق الكلمات" يعني تتابعها وسردها في الجملة أو العبارة وهذا الاستخدام هو استخدام مجازي أما الاستخدام الحسي أو الوضعي يعني سوق الإبل والغنم في قطيع.

ويبقى القاسم المشترك بين معاني هذه المادة "سوق" في جميع المعاجم هو التتابع،والسير والملاءمة والاتفاق والنظم وقد وردمنها ما يؤدي معنى السياق مباشرة دون تأويل أو مشابهة كقوله: ساق الحديث:سرده وسلسله وساقه، تبعه وسايره وجاراه[2].

وفي دائرة معارف القرن العشرين: "ساق الحصان يسوقه سوقا وسياقة: حثه على السير من خلفه، وتسوّق القوم: باعوا واشتروا، واستاق الماشية: ساقها من خلفها، وسياق الكلام: أسلوبه، وجاءت هذه الكلمة في سياق الكلام أي في ضمنه.

أما ما ورد من معنى في المعجم الفلسفي "السياق" في الفرنسية (contexte) وفي الانجليزية (context) سياق الكلام: أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وسياق الحوادث: مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض، فإذا جاء الحادث متفقا مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها، وإذا جاء مخالفا، وجب البحث عن علة الخلاف، تقول: سياق المرض وسياق الظواهر النفسية والاجتماعية[3].

وقد ربطت كثير من المعاجم بين السياق والأسلوب في المعنى، وكما سبق فالمعجم الفلسفي "سياق الكلام": أسلوبه ومجراه، وفي أساس البلاغة: جئتك بالحديث على سوقه: على سرده، وفي دائرة معارف القرن العشرين سياق الكلام: أسلوبه.

وقد عرّف بعض المحدثين الأسلوب بأنه: "نموذج من الاستعمال اللغوي، يتكون من مجموعة من سمات لغوية يتكرر ورودها بسياق معين"[4].

ورغم هذا الربط بين معنيي السياق والأسلوب، يبقى هناك اختلاف يتمثل:

- الأسلوب مجموعة من السمات والخصائص يتكرر ورودها بسياق معين، في حين أن السياق أوسع من ذلك بكثير حيث يحتوي هذه السمات ويزيد عليها.

- الأسلوب خاص يتجه إلى الفرد لذلك قيل: "الأسلوب هو الرجل" بينما السياق عام فهو يمثل دراسة التركيب اللغوي في ضوء القواعد العامة للغة على جميع المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.

- الدراسة الأسلوبية تنطلق من السياق وهي دراسة بلاغية في عمومها بينما السياق هو أساس الدرس اللغوي.

- الأسلوبية تهتم بالشخصية من منطلق التعرف على السمات الأسلوبية التي تتميز بها وأهمها ما يسمى بالانحراف الدال، بينما السياق يدرس الشخصية من منطلق البحث عن المعنى الدلالي وهو غاية البحث اللغوي.

المعنى الاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي للسياق هو: "المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة"[٥]. ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكوّن معها جملة أو عبارة.

وقد ساق الإمام السيوطي أمثلة من القرآن الكريم لبعض الألفاظ التي تأتي بمعان مختلفة يحددها السياق مثل لفظة "الهدى" التي جاءت على سبعة عشر وجها نذكر منها على سبيل الذكر:

جاءت بمعنى الثبات في قوله تعالى ((اهدنا الصراط المستقيم))[٦].

وجاءت بمعنى الدين والدعاء ((وجعلناهم أئمةً يهدُون بأمرنا))[٧].

وبمعنى الرسل والكتب ((ولكلِّ قومٍ هادٍ))[٨].

وبمعنى القرآن ((ولقد جاءهم من ربّهم الهُدى))[٩].

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن السياق يقتضي ثلاثة عناصر على النحو التالي:

أ – عنصر ذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم، ومقاصده واهتماماته، وأهدافه، ورغباته.

ب – عنصر موضوعي: أي الظروف الزمانية والمكانية وهي تلك الوقائع الخارجية التي يتم فيها القول.

ج – عنصر ذواتي: وهي المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وتشمل المعرفة الاجتماعية والثقافية والتراثية وغير ذلك.[١٠]

ونشير بالذكر أن مصطلح فكرة السياق قد عرف عند علماء العرب منذ نهاية القرن الثاني الهجري، وأشاروا إليه من قريب ومن بعيد، وفقا لما يتطلبه المقام، وبهذا رُد على من أدّعى أن العرب لم يعرفوا هذا المصطلح، في حين أنّ أول من استعمله هو الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ ه) في باب سمّاه "الصنف الذي يبين سياقه معناه".[١١]

وهذا ما يفنّد فكرة أن مصطلح السياق مقتبس من الغربيين، ولا سيّما المدرسة الانجليزية بزعامة (فيرث) الذي أولى للسياق أهمية كبيرة، إذ قسموه على:

- سياق لغوي: ويشمل التركيب والألفاظ المستعملة فيه للدلالة على المعنى.

- السياق العاطفي والموقفي والثقافي وهي عناصر تدخل في السياق غير اللغوي يشمل الحس والعقل والعرف وهذا ما أشار إليه علماء العرب من مراعاة حال المخاطب والظروف المحيطة به وما شاكل ذلك.[١٢]

السياق الصوتي:

السياق الصوتي هو النظم اللفظي للصوت في إطار الأصوات الأخرى، على مستوى الكلمة أو الجملة.

وقد وضح أولمان معنى السياق بقوله: أنه "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"[١٣]. وهذا القول يوضح المعنى المعجمي للكلمة، ويتضح مفهوم السياق من خلال مستويين هما:

١ - الكلمات المجردة باعتبارها مجموعة من الفونيمات المترابطة التي تعطي معنى معينا، بالإضافة إلى القواعد المنظمة لترتيب هذه الكلمات على مستوى التركيب من حيث التقديم والتأخير والزيادة والحذف.

٢ – الكلمات مرتبطة بأنواع من السياقات الصوتية كالنغمة والتنغيم والنبر بحسب المعنى الدلالي الذي يتفق مع هذه الدلالات.[١٤]

الفونيمات:

ويكون السياق بترتيب **الفونيمات** في الكلمة وموقعها في البنية على أساس أن هذا الترتيب هو أساس الدلالة اللغوية للكلمة، إذ أن الفونيمات تختلف في طبيعتها من حيث المخرج والصفات النطقية والسمعية، بحيث إذا ركبت معا في تجمعات صوتية فإنها تكون سياقا صوتيا خاصا.

كما يلعب **النبر** دورا هاما في السياق الصوتي، كونه يمثل وضوحا نسبيا لمقطع من مقاطع الكلمة يفوق وضوح المقاطع الأخرى المجاورة له، وقد وضحه تمام حسان بقوله: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها"[١٥].

النبر:

وللنبر أهمية كبيرة في الكشف عن المعنى والتفرقة بين الكلمات من حيث الاسمية والفعلية، ويعد النبر من أهم أنواع السياق الصوتي لأسباب عدة منها:

- يتصل النبر **اتصالا** وثيقا بالنطق الصوتي للكلمة.
- تختلف درجات النبر على مستوى الكلمة فهناك: النبر القوي، والمتوسط والضعيف مما يفرز دلالة لغوية.
- يدل النبر على معان إضافية كالتأكيد والإلزام المصحوب بانفعال، وذلك حينما أنطق كلمة من الكلمات بتركيز أشد دون بقية الكلمات، ويسمى "نبر الجمل" وهذا رغبة في تأكيد أو الإشارة إلى غرض خاص وقد يختلف الغرض تبعا لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها"[١٦].

التنغيم:

والتنغيم هو الإطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق، وهو أيضا "موسيقى الكلام" وتسمى كذلك "نغمات الكلام"، وهذا ما ذهب إليه تمام حسان في تعريفه للتنغيم فهو عنده: "ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام، وربما كان له وظيفة نحوية هي تحديد الإثبات والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام"[١٧].

وللتنغيم وظائف لغوية تجعله عنصرا فعالا من عناصر السياق الصوتي ومن بين هذه الوظائف نذكر ما يلي:

الوظيفة النحوية:

- للتنغيم أثر كبير في توجيه الإعراب، وأوضح ما يكون ذلك في أسلوب "كم" التي قد تستخدم للأخبار أو الاستفهام وعلى هذا فقد روي بيت الفرزدق المشهور:

كم عمّة لك يا جرير وخالة **** فدعاء قد حلبت على عشاري

فقد جاءت لفظة "عمّة" بالرفع والنصب والجر، فمن رفعها كأنّه قال: كم مرة عمة لك يا جرير حلبت على عشارى، ومن نصبها جعلها استفهاما، ومن خفض جعلها خبرا[١٨].

- للتنغيم دور واضح في التفرقة بين أسلوبي التعجب، فحينما نقول: ما أجمل السماء! أو ما أجمل السماء.

- فالتنغيم هو الذي سيظهر مدى الدهشة والتعجب.

- للتنغيم اثر في تحديد أسلوبي النداء عند حذف الأداة، كونها تخضع لعنصر التنغيم، إذ هو ضابط مميز لها فكلمة "محمد" لها صفة صوتية في قولنا مخبرين "محمد مجتهد"، تختلف عن صفاتها في قولنا محمد فحسب أو "يا محمد" على سبيل النداء.

كما أن التنغيم يعمل على التفريق بين أسلوب الاختصاص والأساليب النحوية الأخرى، إذ يتضمن أسلوب الاختصاص لفظتي "أيها وأيّتها" اللتين هما للمنادى، والمرجع أيضا للتفرقة بينهما إلى التنغيم، إذ أن نغمة الأخبار في أسلوب الاختصاص تختلف عن نغمة الأسلوب الإنشائي في النداء.

الوظيفة الدلالية:

إنّ دور التنغيم في حصر الوظيفة الدلالية يكمن فيما يلي:

تحمل الأدوات النحوية أكثر من وظيفة دلالية، والتمييز بينها يكون عن طريق التنغيم ومن بين هذه الأدوات "ما" التي يمكن أن تكون:[١٩]

١ – تعجبية: ما أحسن زيدا!.

٢ - موصولة: ((ما عندكم ينفذ وما عند الله باق))[٢٠].

٣ – استفهامية: ((وما تلك بيمينك يا موسى))[٢١].

٤ – موصوفة: مررت بما هو جميل.

٥ – شرطية: ((وما تفعلوا من خير يعلمه الله))[٢٢].

٦ مصدرية: ((ودوا ما عنتم))[٢٣].

وتلعب القواعد النحوية دورا بارزا في تحديد المعاني، لكن يبقى التنغيم هو الأساس في الوقوف عليها وتحديد المقصود.

- للتنغيم دور في تقدير المحذوف بحسب الدلالة، ذلك أن القرينة الصوتية تعد عنصرا هاما من عناصر الموقف الكلامي التي ينبغي استحضارها للوصول إلى المعنى. ففي قوله تعالى: ((إنّما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا))[٢٤].

قرأ حفص بنصب "متاع" وقرأ الباقون بالرفع على تقدير مبتدأ محذوف أي: "ذلك متاع الحياة الدنيا"

وحجة من نصب أنه أعمل فيه البغي على انه: "مفعول له" إنما بغيكم على أنفسكم من اجل متاع الحياة الدنيا، ويجوز نصب متاع على تقدير "يمتعون متاع الحياة الدنيا"

ونشير بالذكر أن تمام حسان اجمع ما يسمى بالظواهر السياقية وحصرها في ثلاث عشرة ظاهرة هي:

(ظاهرة التأليف، ظاهرة الوقف، المناسبة، الإعلال والإبدال، التوصل،الإدغام،التخلص، الحذف الإسكان، الكمية، الإشباع والإضعاف، النبر، التنغيم).

السياق والدلالة النحوية:

لم يستخدم النحاة القدامى لفظة "سياق" بمفهومها المعروف لدينا الذي يعني كل ما يحيط بالنص من ظروف سواء أكانت حالية أم لفظية أم غير ذلك، وإنما كانت إشارتهم وفقا لما يتطلبه النص (التركيب)، فهم يشيرون إلى سياق المقام : "لكل مقام مقال"، وسياق الحال هو مراعاة حال المخاطب وعمله ووجود الدليل على الحذف.

لذا كان الحديث عنه يتداخل في اغلب المباحث اللغوية، غير إن هذا المصطلح ظهر عند علماء العلوم الشرعية، لان النص المقدس يحتاج إلى فهم دقيق من خلال معرفة مختلف الظروف التي تحيط بالنص، منها معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

والنحو في الدراسات اللغوية المعاصرة لم يعد كما كان قديما على أنّه: "العلم الذي يبحث في أواخر الكلمات إعرابا وبناء"، فمعرفة حكم اللغة من حيث كونها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة، فهذا المفهوم قد تغير كثيرا عند المحدثين من اللغويين الذين أخرجوه عن نطاق الكلمة المفردة الذي ينحصر في الإعراب والبناء، إلى نطاق السياق أو التركيب، بل إلى نطاق أوسع من ذلك بكثير قد يشمل نصا كاملا فيما يسمى في النظرية اللغوية المعاصرة "قواعد النص (text grammar) أو علم لغة النص (text linguistcs)".

ومهمة النحو تعدت إلى البحث في التركيب وما يرتبط بها من خواص، أخذا بالحسبان أشياء أخرى مهمة كالموقعية والارتباط الداخلي بين الوحدات المكونة للجملة أو العبارة، وما إلى ذلك من مسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه.[٢٥]

ودراسة السياق النحوي في اللغة العربية بهذا المفهوم يقوم على الأسس التالية:

١- دراسة القواعد المنظمة لترتيب الكلمات في الجملة:

وتتشكل دراسة القواعد المنظمة لترتيب الكلمات في الجملة على الشكل التالي:

١ - فعل + فاعل (ظاهر أو مضمر) + مكمل. كأن تقول: خرج الطالب من بيته صباحا.

٢ - فعل + فاعل + مفعول به + مكمل. كأن تقول: كتب الطالب درسه بروية.

٣ – فعل + فاعل + مفعولين + مكمل. ظننت انهار مشمسا هذا اليوم.

٤ – فعل + فاعل + ٣ مفاعيل + مكمل. أعلمت محمد الخبر يقينا.

٥ – فعل + نائب فاعل + مكمل. كتُب الدرس في الكراس صباحا.

أما الترتيب بين أجزاء هذا السياق فإنه من النوع الذي يطلق عليه "القواعد النحوية المحددة السياق"[٢٦].

ولا يجوز فيه تقديم الفعل على فاعله، تبعا لقواعد السياق النحوي، لأننا إذا قدمنا الفاعل عن فاعله دخل في باب آخر من أبواب النحو وهو المبتدأ والخبر، باعتبار إذا قلنا: الطالب كتب درسه، فالطالب مبتدأ وليس فاعلا، وبين الفاعلية والابتداء سياق دلالي مختلف.

وفي المعنى نفسه لا يجوز أن نقدم الصلة على الموصول، ولا الصفة على الموصوف، ولا المضاف إليه على المضاف، ولا حرف الجر على المجرور.

أما السياق النحوي للجملة الاسمية يكون كالأتي:

١ – مبتدأ+ خبر+ مكمل . كأن تقول الرجل معطاء في كرمه على الناس.

٢ – خبر+ مبتدأ + مكمل. في الحديقة رجل أنيق.

وفي الجملة الاسمية يجوز حذف المبتدأ أو الخبر أو حذفهما معا إذا علما من الكلام، كسؤالك أين محمد فالإجابة تكون في البيت وهنا قد حذفنا المبتدأ والخبر بتقدير جواب الجملة: محمد موجود في البيت.

ونشير بالذكر بأن هناك سياقات نحوية يجب فيها حذف المبتدأ حينما يكون الخبر في السياق النحوي مصدرا نائبا عن فعله كقولك "صبر جميل" فكلمة صبر في الجملة خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره "صبري" فتكون عندئذ

تقدير الجملة "صبري صبر جميل". كما يحذف المبتدأ وجوبا إذا كان الخبر في السياق موحيا بالقسم كقولك: في ذمتي لأتصدقنّ والتقدير: "في ذمتي قسم لأتصدق"

والسياقات التي يحذف فيها الخبر وجوبا هي:

- إذا كان المبتدأ بعد لولا الامتناعية: لولا الرجل لغرق الطفل، والتقدير: لولا الرجل موجود لغرق الطفل.
- إذا وقع المبتدأ بعد واو المعية. كل زوج وزوجته. والتقدير كل زوج وزوجته حاضران.
- إذا كان المبتدأ نصا صريحا في القسم كقولنا: يمين عليّ لأكتب الرسالة. والتقدير يمين علي "قسم".
- إذا كان في السياق النحوي حال سدت مسد الخبر مثل: ضربي الطفل مسيئا. وأصل التركيب هو: ضربي الطفل حاصل إذا كان مسيئا.

٢- دراسة ما يسمى بالتوافق والمخالفة بين الكلمات بين أجزاء السياق:

قد أشار تمام حسان بقوله: "إنّ ما يجعل السياق سياقا مترابطا إنما هو ظواهر في طريقة تركيبه ووصفه ولولاها لكانت الكلمات المتجاورة غير آخذ بعضها بحجز بعض في علاقات متبادلة تجعل كل كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السياق" [٢٧]. فالسياق النحوي يقوم على العلاقات المتبادلة بين عناصره من الكلمات التي تشكل الجملة، ولولا هذه العلاقات لفقدت الجملة معناها فقولنا: "كتب الشاعر قصيدة وطنية رائعة" فهذه الجملة ترابطت سياقيا لأن كلماتها جاءت مرتبة ومنسقة ودالة على بعضها البعض. أما حينما نقول: "الشاعر وطنية كتب رائعة قصيدة" فهذه الجملة افتقرت إلى عنصر الترابط السياقي فجاءت كلمات متراصة لا معنى لها على المستوى الدلالي.

والعلاقات السياقية تقوم على:

١- التوافق بين عناصر السياق في:

- العدد ويقصد به الإفراد والتثنية والجمع.
- النوع والمقصود به التذكير والتأنيث.
- الإعراب ويقصد به ضبط آخر الكلمة بحسب ما يقتضيه السياق.
- الشخص ويقصد به التكلم والحضور والغيبة.

٢- دراسة الظواهر الإعرابية في السياق النحوي.

يكون الحكم على الكلمة بالرفع أو النصب أو الجر أو الجزم تبعا لموقعها في السياق بالإضافة إلى دلالتها المعجمية وصيغتها، وأثر السياق النحوي في التوجيه، إذ أن للمعنى المعجمي أهميته في التوجيه النحوي، ويكفي للدلالة على هذا أهميه هذا العنصر في الإعراب أن نمثل بما قاله ابن هشام حينما سئل عن إعراب كلمة "بحلقد" في البيت الشعري:

تقي نقي لم يكثر غنيمة بنهكة ذي قربى ولا بحلقد

فكان رده: "حتى أعرف ما الحلقد؟"[٢٨]

وكذلك إعراب كلمة كلالة في الآية الكريمة ((وإن كان رجلا يورث كلالة))[٢٩]. حيث توقف إعرابها على معناها المعجمي، فإذا كان الميت لم يترك والدا ولا ولدا كان إعرابها خبرا أو حالا، وإن كانت بمعنى القرابة فهي مفعول لأجله.

إنَّ الدراسات العلمية للغة التي جاء بها دي سوسير(١٨٥٧ - ١٩١٣م) من منظور ٤ – فعل + فاعل + ٣ مفاعيل + مكمل. أعلمت محمدا الخبر يقينا.

٥ – فعل + نائب فاعل + مكمل. كتُب الدرس في الكراس صباحا.

أما الترتيب بين أجزاء هذا السياق فإنه من النوع الذي يطلق عليه "القواعد النحوية المحددة السياق"[٣٠].

ولا يجوز فيه تقديم الفعل على فاعله، تبعا لقواعد السياق النحوي، لأننا إذا قدمنا الفاعل عن فاعله دخل في باب آخر من أبواب النحو وهو المبتدأ والخبر، باعتبار إذا قلنا : الطالب كتب درسه، فالطالب مبتدأ وليس فاعلا، وبين الفاعلية والابتداء سياق دلالي مختلف.

وفي المعنى نفسه لا يجوز أن نقدم الصلة على الموصول، ولا الصفة على الموصوف، ولا المضاف إليه على المضاف، ولا حرف الجر على المجرور.

أما السياق النحوي للجملة الاسمية يكون كالأتي:

١ – مبتدأ+ خبر+ مكمل . كأن تقول الرجل معطاء في كرمه على الناس.

٢ – خبر+ مبتدأ + مكمل. في الحديقة رجل أنيق.

وفي الجملة الاسمية يجوز حذف المبتدأ أو الخبر أو حذفهما معا إذا علما من الكلام، كسؤالك أين محمد فالإجابة تكون في البيت وهنا قد حذفنا المبتدأ والخبر بتقدير جواب الجملة : محمد موجود في البيت.

ونشير بالذكر بأن هناك سياقات نحوية يجب فيها حذف المبتدأ حينما يكون الخبر في السياق النحوي مصدرا نائبا عن فعله كقولك "صبر جميل" فكلمة صبر في الجملة خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره "صبري" فتكون عندئذ تقدير الجملة "صبري صبر جميل". كما يحذف المبتدأ وجوبا إذا كان الخبر في السياق موحيا بالقسم كقولك: في ذمتي لأتصدقنّ والتقدير: "في ذمتي قسم لأتصدق"

والسياقات التي يحذف فيها الخبر وجوبا هي:

- إذا كان المبتدأ بعد لولا الامتناعية: لولا الرجل لغرق الطفل، والتقدير: لولا الرجل موجود لغرق الطفل.
- إذا وقع المبتدأ بعد واو المعية. كل زوج وزوجته. والتقدير كل زوج وزوجته حاضران.
- إذا كان المبتدأ نصا صريحا في القسم كقولنا: يمين عليّ لأكتب الرسالة. والتقدير يمين علي "قسم".
- إذا كان في السياق النحوي حال سدت مسد الخبر مثل: ضربي الطفل مسيئا وأصل التركيب هو: "ضربي الطفل حاصل إذا كان مسيئا".

البنيوية ودورها في إرساء بناء مناهج الدراسات اللغوية:

إنَّ الدراسات العلمية للغة التي جاء بها دي سوسير(١٨٥٧ - ١٩١٣م) من منظور الفلسفة البنوية، كان ظهورها ضمن مجالات معرفية[٣١] أسهمت بقدر وفير في ظهور المناهج الحديثة التي انتشرت بسرعة فائقة، تلقفها الباحثون شرحا وتفسيرا وتطبيقا، فتم إثراؤها بآراء جديدة متطابقة أحيانا ومتباينة مرات أخرى تبعا لأفكار الباحثين واتجاهاتهم والأهداف المتوخاة منها والآليات الإجرائية المتبعة وكذا الميادين الأدبية المدروسة والنتائج المحصل عليها، وكيف أسست هذه الدراسات النقدية المنبثقة عن رؤية دي سوسير- في دراسته العلمية للغة - آراءها النقدية.

وجدير بالذكر – حينئذ- أن نذكر الشكلانيين[٣٢] الروس والمجهودات الي بذلتها هذه المدرسة في التأسيس لكثير من النظريات للدراسات اللغوية بزعامة رئيسها "رومان ياكبسون" الذي <كان مهتما حينئذ بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس والفنون الشعبية، ولكنه كان شديد الإنصات للنبض العلمي الذي ينبعث من أوربا الغربية>[٣٣] هذا علاوة على أن كثيرا من الفنون الأخرى استمدت قوامها من النظرية الشكلية الروسية.

"فاستفادوا في علم اللغة مثلا من مبدأ النسبية وانتصارات علم الطبيعة الحديث وبنظرية الفنون التشكيلية ونموذج المذهب "الكوبي" الذي ينص على أن كل شيء يعتمد على العلاقة والتوقف المتبادل بين الجزء والكل وبين اللون والشكل"[٣٤].

كما تجلى تأثير الحركة الكوبية واضحا على الرسم والموسيقى والأدب، ومن هنا ركزت على مرحلتين: التحليلية والتركيبية، فالتحليلية أرادوا بها "القضاء على مبدأ المحاكاة ومشابهة الطبيعة لصالح العملية التركيبية التي تتم داخل وعي الفنان نفسه"[٣٥].

وقد ميز "بارت" – كذلك – بين هذين الاتجاهين البنائية التحليلية[٣٦] التي يتزعمها "ياكبسون والتركيبية التي يتبناها "شومسكي" والبنائية عند "بارت" "بأنها حل الشيء لاكتشاف أجزائه والوصول من خلال تحديد الفروق القائمة بينها إلى معناها"[٣٧]

وجدير بالذكر أن البنائية التي رسمت كثيرا من الفنون المختلفة بدأت تتضح معالمها في الدراسات اللغوية العلمية مع حلقة براغ حينما قامت طائفة من علماء اللغة جاءوا من كثير من البلدان الأوربية (روسيا هولندا ألمانيا انجلترا فرنسا) وقدموا جملة من المبادئ.

إلى علماء اللغة المنعقدين بلاهاي سنة ١٩٢٨ معنونة بـ "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية"، تدرجوا بعدها في دراسة المبادئ اللغوية إلى أن أنتجوا أول دراسة لغوية ممنهجة في تاريخ الأصوات اللغوية لتتوالى– بعد ذلك – مؤتمرات للصوتيات تبلورت في ثمانية أجزاء نشرت تباعا حتى عام ١٩٣٨.

المنهج الأسلوبي في مجال الدراسات اللغوية:

يتجلى واضحا أن مدرستي جنيف وبراغ برئاسة دي سوسير ورومان ياكبسون أسستا لمجموع الدراسات اللغوية التي ظهرت كعلم جديد يهدف إلى إرساء مناهج للدراسات الموضوعية "بالاعتماد على مجموعة من الإجراءات الأدائية تمارس بها مجموعة من العمليات التحليلية التي ترمي إلى دراسة البنى اللسانية في النص الشعري وعلاقات بعضها بالبعض الآخر بغية إدراك الطابع المتميّز للغة النص الشعري نفسه، ومعرفة القيمة الفنية والجمالية التي تستتر وراء تلك البُنى."[٣٨]

ومعنى هذا القول هو استبعاد الدراسة العلمية البحتة للغة التي دعت إليها اللسانيات، إذ أن مؤسسي المدرسة الألمانية المثالية يرون بأن "المبنى ليس مجرد كومة من الطوب والخشب والإسمنت والحديد بل هو تصميم من خلق الروح التي أرادته وتصورته ونفذته، فإن اللغة ينبغي أن تنظرَ إليها في علاقتها بالروح التي أبدتها أي في الأسلوب"[٣٩]

ولهذا فإن الدراسة المقصودة ترمي إلى تبيان وتوضيح مجموعة من الأهداف تميّز اللغة وتبرز قيمها الفنية والجمالية وربطها بالدلالة السياقية للنص الأدبي، ومدى تأثر المبدعين بالعوامل النفسية والاجتماعية المحركة للشعور والأحاسيس، وهذا ما ذهب إليه مجموعة من اللغويين الفرنسيين الذين رفضوا "إعتبار اللغة جوهرا ماديا خاضعا لقوانين العالم الطبيعي الثابتة إذ أنها خلق إنساني ونتاج للروح البشري تتميز بدورها كأداة للتواصل ونظام من الرموز المخصصة لنقل الفكر فهي مادة صوتية لكنها ذات أصل نفسي اجتماعي"[٤٠]

ورغم أن اللغة ليست جوهرا إلاّ أن الأسلوبية تبقى مرتبطة بما جاءت به اللسانيات في الثنائية القائمة بين اللغة والكلام، فإذا كانت اللسانيات "تُعنى باللغة التي هي مجموعة من الوحدات اللغوية والبُنى النحوية وجملة القواعد اللغوية ووظائفها"[٤١]. فالأسلوبية تبحث عن الخصائص النوعية التي تميز نصا أدبيا متحقّقا عن غيره من النصوص الأدبية، ولذا فهي تُعنى بما هو منفّذ ومنجز، أي أنها تعنى بالنص الذي يرتبط من ناحية تحققه بالكلام "ولهذا فإن الأسلوبية تفكّك ثنائية دي سوسير ولا تعنى إلا بطرف من طرفيها وهو الكلام."[٤٢]

منطلقات التحليل الأسلوبي:

اعتماد المنهج الأسلوبي، يُتوخى منه الوصول إلى مجموعة من الأهداف العامة المتعلقة بالطابع المميّز لّلغة، ووصف نظامها من حيث الثبوت والتحوّل والاستعمال والتطور وكذا قدرتها وفعاليتها في بلورة الأفكار والصور والأحاسيس.

كما يستطيع هذا المنهج إبراز السمات الأسلوبية الخاصة بشاعر من الشعراء دون غيره، ثم التحقق من مدى تطبيق الآليات الإجرائية وما هي الأدوات التي يمكن استغلالها للوصول إلى هذا الهدف. غير أن التصنيفات العديدة للأسلوبية يحتم تحديد الصنف الأسلوبي قصد التعامل معه وفق المنظور الذي يضبط الطرائق والآليات الإجرائية وحتى لا تنحرف الدراسة عن مسارها خاصة وأن هذه التصنيفات بنيت وفق ثنائيات متعاكسة ومتباينة في الشكل والأداء، يقول حسن ناظم "فإن ثمة تصنيفات عديدة أخرى تضع الأسلوبيات في جدولة ثنائية تقابل بها بين (أسلوبية الأشكال) و(أسلوبية الأغراض) وبين (أسلوبية تعبيرية) و (أسلوبية الفرد)".

وهناك تصنيفات أخرى مثل (أسلوبية وصفية) و(وأسلوبية وظيفية) و (أسلوبية تكوينية) و(أسلوبية كمية)[٤٣].

كما برز تصنيف آخر وهو ما يسمى بالأسلوبية النفسية وهي التي "تنطلق من العمليات النفسية العامة مثل التلطيف والإلحاح والتجريد للوصول إلى الوسائل التعبيرية في اللغة"[٤٤]

ورغم تعدد تصنيفات الأسلوبية، فإنها تعتمد معايير ثابتة في سائر المستويات اللغوية يمكن إجمالها فيما يلي:

المنظور الإحصائي:

وهو الذي يهتم بمعدل التكرار لبعض العناصر اللغوية، فكلما ارتفع معدل التكرار إلا وكانت الدراسة أكثر دقة وموضوعية باعتباره – التكرار – سمة أسلوبية في النص وأن المبدع يعول عليه أكثر في رصد وتوصيل المعنى، غير أن المبالغة في اعتماد المنظور الإحصائي تؤدي إلى قتل الدراسة الأدبية وتحولها إلى جداول صماء تخنق روح النص وتكتم أنفاسه، وهذا ما يعيب بعض الدراسات الأسلوبية المعاصرة التي تجاوزت حدود المعقول بحيث اتخذته – مبدأ الإحصاء – وكأنه غاية الدراسة الأسلوبية ومنتهاها.[٤٥]

مبدأ الانزياح:

ويسمى أيضا (العدول) أو (الانحراف) وهو الخروج عن القواعد المألوفة واستخدام اللغة استخداما جديدا شريطة أن لا يؤدي هذا الاستخدام الجديد إلى تحطيم العلاقات بين مكونات اللغة لتصل إلى الإبهام والى هتك اللغة هتكا صريحا[٤٦].

ويتجلى الانزياح بمراقبة الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل، وكل ذلك يخدم وظيفة جمالية كالتوكيد أو الوضوح أو الطمس والغموض بمبرر جمالي.[٤٧]

مبدأ الاختيار:

وهو انتقاء الوسائل اللغوية المناسبة لتأدية المعنى، ويتم على أساس الترادف والتخالف.

ويرى البعض إن في الاختيار الواعي لأدوات التعبير يكمن الأسلوب[٤٨]، وهذه الاختيارات تسمى الكلمات المفاتيح للنص

التأليف:

وهو أن يتم التوافق بين المعاني النفسية المرادة وطريقة الأداء اللغوي باحترام القيم النحوية التي تراعى خلال تأليف العبارة[٤٩]، وباختيار الكاتب لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه

قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف عند الاستعمال على سبيل اعتماد الانزياح لإبراز قيم جمالية لغوية ومعنوية تحدد أدبية النص أو وظيفته[٥٠].

أسلوبية التلقي:

ووفق هذا التصور تصبح الأسلوبية مالكة لجانب أساسي وجوهري وهو ما يعرف بأسلوبية التلقي "ولذا ينبغي فهم الأسلوب على أنه ظواهر معينة في نص ما، أو ما يقصد إنتاجه في مسألة الإبداع الفني أو ما يتم تحليله بالنظر إلى تأثيره في القارئ، ويمكن للإنسان أن يرمز لهذه الإمكانيات الثلاث على أنها نظرية أسلوبية نصية داخلية، وأسلوبية إنتاج وأسلوبية تلقي، ولهذا يأتي قطاع الاتصال الأدبي في المقدمة، إن عنصر الأسلوب لا يمكن تجريده من النص ولا من المؤلف ولا من المتلقين"[٥١].

وقد احتلت أسلوبية التلقي أهمية كبيرة من حيث صلتها الوثيقة بعملية الاتصال والتأثير، إذ إن الاتصال الأدبي يتحقق من خلال التأثير الذي يحققه النص في القارئ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن الاتصال الأدبي يتوجه إلى متلقين متعددين وغير معروفين ومتجددين في كل زمان ومكان.

حدد رومان ياكبسون أطراف عملية الاتصال الأدبي من خلال ستة أركان، إذ يوصل المرسل خبرا إلى المستقبل وينبغي أن يعتمد ذلك على سياق ويتطلب الأمر نظاما لغويا مشتركا بين المرسل والمستقبل ووسيلة اتصال و هي القناة التي من خلالها يتصل المرسل والمستقبل أحدهما بالأخر[٥٢].

وفي ضوء هذا التصور الذي يقدمه ياكبسون يكون المتلقي في الدراسات الأسلوبية عنصرا هاما، إذ أنه هو الذي يتلقى الرسالة، ولذلك فإن الأسلوبية أصبحت تمثل منهجا لفهم النص، وأهم مرجع لهذا الفهم هو التأثير في القارئ، ويتحقق هذا التأثير من خلال عملية الاتصال، وهو العنصر الذي يفتح أبواب النص للقارئ لكي يفك أسراره ويكشف عن رؤيته للعالم وللأشياء.

فالمنبهات كفيلة بإيقاظ وعي المتلقي لدرجة يصبح فيها هذا المتلقي واقعا تحت سلطة التأثير الناتج عن المنبهات التي تولدها الظاهرة اللغوية التي تتحول إلى عملية شحن عاطفي إذ تعد عملية أساسية في خلق تأثيرات وإدهاشات للقارئ، وفي ذلك يوضح شارل بالي هذه العملية بقوله: "قد تمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ، ومهمة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة أو الفاعلية المتبادلة بين العناصر التجريبية التي تتلاق لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة".[٥٣]

ولهذا السبب اهتمت الأسلوبية بدور القارئ، إذ لم يعد الأسلوب مجرد تحديد الظواهر الأسلوبية وتعيينها، وإنما ينصب الاهتمام على دور القارئ وما يمارسه الأسلوب عليه من سلطة أو تأثير، إذ لا يشكل الأسلوب حضوره الفاعل إلا من خلال القارئ الذي أصبح ركنا فاعلا وأساسيا في الدراسات الأسلوبية.

وفي هذا المنحى صنفت أسلوبية التلقي القراء حسب مكانة المتلقي من النص وحسب نوع القراء ة، إذ أن تعدد هذه الأنواع يجعل النص حيويا متولد الدلالة متعدد المعاني.

وقد صنف النقاد القراءة إلى مجموعة أنواع نذكر منها:

القراءة الظاهراتيّة:

وترصد أفعال الخطابات واستنساخها للأحداث الجمالية الذوقية كما تتجلى في النص دونما تقويم نقدي[٥٤]، وهذه القراءة تهدف إلى تحديد المعنى القريب وهي ما تسمى بقراءة الفهم التي تعمل على دمج بين قراءتين متداخلتين قراءة استكشافية أو استطلاعية مع قراءة استرجاعية، وهي قراءة يلتقي فيها القارئ مع النص لأول مرة يسعى من خلالها إلى الوصول إلى المعاني العادية من النص دونما أيّ جهد يذكر.

القراءة الانطباعية الذوقية:

وتتسم بالتأييد أو الشجب لمواقف الشخصيات[٥٥]، إذ يمكن للقارئ إبداء الرأي فيها قبولا أو رفضا من خلال المتعة التي يحدثها النص في المتلقين، لتصبح لغة النص هي التي لها القدرة في إيجاد المتعة الأدبية وهذا ما أشار إليه رولان بارت (R. barthes) في قوله: "يجب على النص الذي تكتبونه لي أن يعطيني الدليل بأنه يرغبني."[٥٦]

القراءة التأويلية:

وهي عكس القراءة الظاهراتيّة، قراءة تتعمق في البحث عن معاني النص والغوص في وحداته، وهي القراءة التي تبحث في معنى المعنى من خلال محاولة الاهتداء إلى نشاطات واعية إذ يشرح "بسام قطّوس" ذلك بقوله: "فهي قراءة للنص أو مقاربة تتحكم فيها الفرضيات المنبثقة من معطيات النص أوّلا ومن قدرات المؤول ثانيا، والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع"[٥٧]

وتبعا لتصنيف علماء اللغة لأنواع القراءات بينوا كذلك أنماطا مختلفة من القراء تتساير وهذه القراءات بما يحقق الأهداف المرصودة لعملية الربط بين النص والقارئ نذكر من هؤلاء:

١ - القارئ النموذجي:

وهو القارئ المثالي الذي نرجع إليه في الغالب والذي يصعب جدا تحديد جوهره واستناده، بل إننا نستطيع أن نذهب إلى حد اعتباره الناقد الأدبي أو فقيه اللغة، وهو كذلك الشخص المتمرس إلى ابعد حد بنظام اللغة[٥٨].

وهذا النوع من القراء ليس غايته البحث عن المعنى السطحي أو الجلي الذي قد يصله أي قارئ أو متلق للنص، أو المعاني التي يدلي بها النص أثناء القراءة "إنه قارئ يبحث عما لم يقله النص صراحة، يفك الرموز المتناثرة في ثنايا النص أو الخطاب ويبحث عن الفجوات ليملأها ويسبر أغوار مستويات النص المجازية ويسد شقوقه، فمفهوم القراءة هنا مقترن بالاكتشافات وإعادة إنتاج المعرفة[٥٩]

٢ - القارئ الخبير:

يعرفه "إدريس بلمليح" بأنه قارئ يهدف بملاحظاته الذاتية وبتأمله لردود الفعل التي يثيرها النص، ويهدف إلى إخصاب المعلومات الموجودة والى توسيع دائرتها كي تصبح المعلومات انعكاسا لقدرة القارئ[٦٠].

ويضيف "حسن ناظم" أن من صفات القارئ الخبير التحدث بطلاقة لغة النص، وأن يتوفر على المعرفة الدلالية التي تجعله مستمتعا قادرا على الوصول الفهم وله كفاءة أدبية".[٦١]

٣ - القارئ الضمني:

وهو قارئ يكون له حضور ساعة القراءة يعرفه "رامان سلدن (Raman Selden)" هو القارئ الذي يخلقه النص لنفسه، وهو قارئ ذو قدرات خيالية شأنه شأن النص ، ولا يرتبط بشكل من أشكال الواقع المحدد، فقدرته الخيالية تجعله يتحرك مع النص باحثا عن بنائه وعن مركز القوى فيه وتوازنه، وواضعا يده على الفراغات الجدلية فيملاها باستجابات الإثارة الجمالية، وهو منتج بقدر ما هو مدرك لأسرار الأساليب اللغوية للنص[٦٢].

العملية الإبلاغية وآليات التحليل الأسلوبي:

في ظل هذه المواقف تبرز إشكالية أخرى مفادها أن القضية في جوهرها لا تتعلق بالنص أو القارئ، وإنما بالأدوات الأسلوبية وبالآثار الناجمة عنها، إذ أن الأدوات الأسلوبية قد تنتج عنها آثار كثيرة، "فالوسيلة الواحدة يمكن أن تؤدي إلى نتائج مختلفة وتأثيرات متباينة، كما أن التأثير الواحد يمكن أن يتم بوسائل متعددة".[٦٣]

والفصل في هذه القضية يفرض الانطلاق من الشكل وليس من الدلالة بالتركيز على المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية.

كما أنّ التحليل الأسلوبي – زيادة على ما سبق ذكره – يشترط مجموعة من المعطيات الأساسية التي تدخل ضمن الإجراءات التحليلية بغية الوصول إلى مجموع الأهداف المتوخاة التي ينشدها الدارس كالتعرّف على وسائل التعبير وتحديدها وتصنيفها ومن ثمة تنميطها[٦٤]. فدراسة عمل أديب واحد يختلف عن عمل مجموعة من الأدباء، ودراسة هؤلاء الأدباء تختلف من حيث انتماؤهم إلى مدرسة أدبية أو حركة موحّدة أو عصر متميز، إذ يشترط في ذلك مراعاة اختلاف أنظمة ومستويات اللغة وبالتالي اختلاف الإجراءات التحليلية.

يضاف – إلى هذه المعطيات – التذوّق الشخصي لدى الدارس يقول "كايسر" "على من يتصدى للبحث في أسلوب عمل أدبي معين أن يترك هذا العمل يمارس تأثيره الشامل العميق عليه، دون أن يوجه أيّ اهتمام ثان للملامح والخواص الأسلوبية، فالبحث الأسلوبي ليس عملية برهنة رياضية على مقولات مسبقة"[٦٥]

والتذوّق الشخصي يبقى جزئيا، حتى لا يتحوّل التحليل الأسلوبي إلى عملية شخصية يصل من خلالها كل باحث إلى النتائج التي يحبّذها دون التحقق من صحتها أو زيفها اعتمادا على مجموعة من المعايير العلمية.

التذوق الشخصي للدّارس – هو من وجهة نظر أخرى- هو المتلقي الذي يرتبط أساسا بالمؤلف برابط هو النص.

ولهذا أولى المنظّرون والدارسون لعلم الأسلوب عناية كبرى بهذه العناصر الأساسية التي لا يمكن لأي دارس أسلوبي أن يتخلى عن إحداها لأنها تتكامل فيما بينها ، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يدرس كل عنصر على حدة لهذه الأسباب فكل الدارسين خصصوا شروحا مطوّلة وتفسيرات منطقية عبّر عنها كل دارس بطريقته الخاصة.

فعبد السلام المسدي فسّرها بالمصادرات الثلاثة، إذ يقول: "وإذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية، اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطِب والمخاطَب والخطاب".[٦٦]

وهذه العناصر الثلاثة وثيقة الصلة بنظرية الإبلاغ التي استمدت أصولها من نظرية الإخبار التي تأسست سنة ١٩٤٩ على يد المنظِّر شانون (shannon)[٦٧].

والتي توضح على أن كل عمليَّة تخاطب< تقتضي جهازا أدنى يتكون من باثٍّ ومتقبّلٍ وناقِلٍ>[٦٨]

وبين الباثِّ والمتقبّل تكون عمليتي التركيب والتفكيك للنص الناقل الذي هو حبل التواصل بين اللاَّفِظِ والمحتضِن.

كما أن فتح الله أحمد سليمان يحدّد مفهوم الأسلوب "من هذه المنطلقات نفسها وهي المنشِئ، النص، والمتلقي"[٦٩].

وتحديد مفهوم الأسلوب حسب هذه المعطيات وضحها الكاتب كالآتي:

– من منظور المنشِئ: إن الأسلوب يعبّر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه، بل ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية.

– أما من زاوية النص فإنه يعتمد على فكرة الثنائية اللغوية القائمة بين اللغة والكلام هذا الأخير الذي ينقسم بدوره إلى قسمين هما: الاستخدام العادي للغة، ثم الاستخدام الأدبي لها.

– أما المتلقي فدوره مهم في العملية الإبلاغية، لهذا على المنشِئ أن يأخذ بالحسبان مجموعة من العوامل الأساسية المتعلقة به كحالته النفسية والاجتماعية ومستواه الثقافي وجنسه وعمره.

– ويقول الكاتب في هذا المجال: "على المنشِئ أن يثير ذهن المتلقي حتى يحدث تفاعلا بينه وبين النص، واستجابة المتلقي ورفضُه هما المحكُّ في الحكم على مدى حدوث هذا التفاعل".[٧٠]

– إن المتتبع لمحتوى المقال يدرك أنه يجمع بين مجموعة من العناصر المرتبطة بدأها بما يسمى البنائية التي أسست لعلاقة متينة بموضوع البحث الأسلوبي، إذ أن البناء يقصد به ربط الأجزاء اللغوية بوسائل تعبيرية تشكل في النهاية السياق العام للنص الأدبي.

– وقد أورد مصطفى السعدني قوله: "البنية هي النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل".[٧١]

– ومن البنائية استمد دارسو اللغة نظرياتهم لتبرز مجموعة من المدارس الفاعلة في هذا المجال أبرزها مدرسة جنيف التي تضم مجموعة آراء دي سوسير في التنظير للدراسة العلمية للغة ثم مدرسة براغ التي يتزعمها رومان ياكبسون وهو في الوقت نفسه مؤسس المدرسة الشكلية الروسية والتي كان تأثيرها – فيما بعد واضحا – في ظهور علم الأسلوب عن طريق شارل بالي زعيم المدرسة الفرنسية.

– في النهاية تركزَّ القول حول مفاهيم الأسلوبية والنظريات المختلفة والآراء والأهداف والغايات والإجراءات المتعلقة بمفهوم الأسلوبية، الوسائل التعبيرية المعتمد عليها في تبيان السمات الأسلوبية للنص الأدبي، وكذا الركائز الأساسية التي يعتمد عليها التحليل الأسلوبي في العملية الإبلاغية كالمنشئ والنص والمتلقي، وفي هذه العناصر تتفاعل كل الأطراف في إبراز القيم الجمالية والدلالية والمعجمية وإدراك خفايا الأسلوب واختلافه من كاتب إلى آخر والعوامل التي يمكن استنتاجها من النص كعوامل مؤثرة في النظام اللغوي.

الخاتمة:

تضمن هذا المقال علاقة التحليل الأسلوبي ومفهوم نظرية السياق، إذ أن الهدف من كليهما يرمي إلى توضيح المعنى المراد، والربط بين المنشيء والمتلقي من خلال النص.

إن المعنى الاصطلاحي لمفهوم السياق هو إبراز المعنى الذي يفهم من موضع الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية، وهذا ما يتطابق مع مستويات التحليل الأسلوبي الذي يركز بدوره على مجموع هذه المستويات.ليخلص في الأخير إلى العوامل اللغوية المختلفة التي كوّنت النص، وما هي الأدوات اللغوية التي يوظفها الكاتب مراعيا في ذلك قدرة المتلقي على الفهم والاستيعاب.

اعتمد هذا المقال مجموعة من العناصر الخاتمة لتحقيق الهدف المراد من الدراسة فكان أن بيّنا معاني السياق لغة واصطلاحا ووظائفه النحوية والدلالية، وأهم القواعد المنظمة لترتيب الكلمات في الجملة.

ومن جهة أخرى بيّنا أثر البنيوية في إرساء مناهج الدراسات اللغوية، وفي هذا المنحى تعرضنا بالشرح إلى أسس المنهج الأسلوبي ومستوياته التحليلية وآلياته اللغوية المعتمدة.

الإحالات:

١- ابن منظور: لسان العرب، مادة "سوق"

٢- الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر – بيروت – ١٩٦٥ مادة سوق.

٣- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت .- ط١، ١٩٨٢، ص ٦٧١.

٤- سعد مصلوح، الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، دار الفكر العربي، ١٩٨٤، ص ٤٠ .

٥- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين "دراسة لغوية نحوية دلالية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر – الإسكندرية – ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٣.

[٦]- الفاتحة آية ٦.

[٧]- الأنبياء ٧٣.

[٨]-الرعد ٤.

[٩]- النجم ٢٣.

[١٠]-عبد الواحد حسن الشيخ: التنافر الصوتي والظواهر السياقية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية – الإسكندرية – ط ١، ١٩٩٩، ص ٣٥.

[١١]- عبد الواحد حسن الشيخ المرجع نفسه ص ٣٦.

[١٢]- فوزي إبراهيم، السياق ودلالته في توجيه المعنى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٦، ص ٢٣.

[١٣]- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط٢، ١٩٦٩ ص ٥٥.

[١٤]- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ص ٣٨.

[١٥]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، ط ١، ١٩٨٣، ص ١٧٠.

[١٦]- إبراهيم أنيس: الأصوات، ص ١٧٤.

[١٧]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو مصرية، ط١، ١٩٧٩، ص ١٩٨.

[١٨]- الزجاجي: الجمل في النحو، تح: توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل – الأردن – ط١، ١٩٨٤ ص ١٣٧.

[١٩]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ٥٣.

[٢٠]- سورة النحل آية: ٩٦.

[٢١]- سورة طه آية: ١٧.

[٢٢]- سورة البقرة آية ١٩٧.

[٢٣]- سورة آل عمران الآية ١١٨.

[٢٤]- سورة يونس آية: ٢٣.

[٢٥]- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف بمصر، ج٢، ١٩٧١، ص ١١.

[٢٦]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ص ٧٠.

[٢٧]- الزجاجي، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل الأردن، ط١ ١٩٨٤، ص ١١٧.

[٢٨]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين والمحدثين ص ٧١.

[٢٩]- سورة النساء آية ١٣.

[٣٠]- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ص ٧٠.

[٣١] - أ - مجال اللسانيات مع دي سوسير وما تضمنته من روافد مختلفة: اللغة والانثروبولوجيا، وعلم النفس والفلسفة والنقد .

ب – مجال الأنثروبولوجيا ويتزعم هذا الاتجاه ليفي ستراوسLevi - strauss وبفضله لم تعد البنوية مقتصرة على اللسانيات بل شملت نشاطات علمية أخرى مثل علم النفس والسيميائيات والنقد الأدبي.

ج – مجال النقد الأدبي ورائده رومان ياكبسون زعيم المدرسة الشكلية الروسية التي استقى منها فكره النقدي الشكلاني ليؤسس من خلاله مناهج النقد المعاصر المبني على المفاهيم اللسانية كالنقد البنوي والنقد الأسلوبي والنقد السيميائي وعلم النص وغيرها من المجالات النقدية الأخرى التي جاءت موافقة لفلسفة دي سوسير أو التي جاءت مناقضة له كالاتجاه الاجتماعي الذي أسسه دوركايم الذي يعتبر أن المجتمع هو أساس ظهور النصوص الأدبية والعقائدية أو الاتجاه النفسي الفرويدي الذي يفسر الأدب من وجهة نظر نفسية.

[٣٢] - المدرسة الشكلية تعد الرافد الثاني من روافد الدراسات اللغوية بزعامة رائدها رومان ياكبسون، والتي ولدت من أرحام حلقة موسكو اللغوية التي أسسها مجموعة من طلبة الدراسات العليا عام ١١٩١٥ لتتطور – فيما بعد – إلى جمعية لدراسة اللغة الشعرية تسمى أبوجاز Opojaz << يُنظر: كتاب نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ط).

[٣٣] - صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة نجلو المصرية (د.ط).ص٤٥ .

[٣٤]- المرجع نفسه ص ٥٢.

[٣٥]- المرجع نفسه ص ٥٤.

[٣٦]- تم استخدام مصطلح البنائية في بداية الموضوع تماشيا مع بعض ما أورده مجموعة من الباحثين حينما كان مصطلح البنائية (constructisme) يعني الجانب العلمي المحض بعيدا عن الدراسات اللغوية،. بعدها انتقل المصطلح إلى البنوية (structuralisme) للدلالة على الدراسات اللغوية.

[٣٧]- صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي ص ٥٣.

[٣٨]- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسياب (د.ط) ص ٣٠.

[٣٩]- صلاح فضل: علم الأسلوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥ ص ١٠.

[٤٠]- المرجع نفسه ص ١٠.

[٤١]- حسن ناظم، البنى الأسلوبية ص ٢٣.

[٤٢]- حسن ناظم المرجع نفسه ص٢٦.

[٤٣] - حسن ناظم: البنى الأسلوبية " دراسة أنشودة المطر، للسياب " (د.ط) ص ٢٦.

[٤٤]- حسن ناظم المرجع نفسه ص ٢٣.

[٤٥]- ينظر: أماني سليمان داوود: الأسلوبية والصوفية، دار الحوار للنشر والتوزيع ط١، ٢٠١١ ص٢٤.

[٤٦]- شكري عياد ، مدخل إلى علم الأسلوب، ص ٣٧.

[٤٧]- ينظر إبراهيم خليل، الضفيرة واللهب، أمانة عمان الكبرى، ط١، ٢٠٠٠، ص٦٠.

[٤٨]- بيير جيرو، الاسلوبية ص ١١.

[٤٩]- احمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب القاهرة، ط١، ١٩٨٨ ص ١٦٦.

[٥٠]- عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار الطليعة بيروت ط١، ١٩٨٣ ص ١٦٦.

[٥١]- (برنلد شبلز: علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة د. محمود جاد الرب، الرياض، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٩٨٧ ص ١٠٨.

[٥٢] - موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي، دراسة تطبيقية، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان ط ١، ٢٠١١، ص ١٧٨.

[٥٣]-(صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٧٠).

[٥٤]- صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات السابع من افريل، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤ ص ١٢٥.

[٥٥]- المرجع نفسه ص ١٢٥.

[٥٦]- رولان بارت: لذة النص، تر:منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري، سوريا،(د.ط) ص ٢٧.

[٥٧]- بسّام قطوس: مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق ص ٢١٠.

[٥٨] ينظر ك محمد المتقن، مفاهيم نقدية ص ٤٩.

[٥٩]- بسام قطّوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر ص ١٧٦.

[٦٠]- إدريس بلمليح: المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط (د.ط) ١٩٩٥ ص٢٨١.

[٦١]- حسن ناظم : مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي – بيروت – ط ١ ١٩٩٤ ص ١٣٧.

[٦٢]- محمد المتقن: مفاهيم نقدية ص ٥٢.

[٦٣]- صلاح فضل: علم الأسلوب والنظرية البنائية ص ١٧٨.

[٦٤]- الأنماط نوعان:

أ - أنماط تعبيرية وتشمل بدورها جانبين: أحدهما وسائل التعبير النحوية (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية) أما الثاني فهي وسائل التعبير التي تتجاوز النطاق اللغوي (الوصف والقص وصيغ الشعر)

ب – أنماط القول وحالات اللغة: وهي مجموعة من العادات الجمالية المشتركة والمواقف الخاصة في التواصل.

[٦٥]- صلاح فضل: علم الأسلوب والنظرية البنائية ص ١٨٨.

[٦٦]- عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب ط٢، ١٩٨٨، ص ٦١.

[٦٧]- هو (Claude Elwood Shannon المولود بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٦ والمتوفى ٢٠٠١، مؤسس نظرية الإخبار (la théorie de l'information))

-[٦٨]عبد السلام المسدي: الأسلوب والأسلوبية ص ٦٢ صلاح فضل.

[٦٩]- فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة (د.ط) ٢٠٠٤، ص ٧.

[٧٠]- فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ص ٨.

[٧١]- مصطفى السعدني: المدخل اللغوي في نقد الشعر" قراءة بنيوية "، منشأة الناشر المعارف الإسكندرية (د.ط) ص ١٢.